كيف نربى المرأة التى تربينا

التربية كالصحة ليس وراءها غاية . فنحن لانحث أبناءنا على التزام الاعتدال فى الطعام أو ممارسة الرياضة أو الاستحمام لكى يكونوا أقوى أجساما من غيرهم أو لكى ينجحوا فى أعمالهم بل لكى يحصلوا على الصحة فقط . لأن الصحة تطلب لذاتها .

وكذلك الشأن فى التربية فإن كل إنسان يجب أن يكون حاصلا على أفضل قسط ممكن منها . والتربية هنا غاية فى ذاتها . فنحن نطلب الصحة لكى نتجنب المرض وكذلك يجب أن نطلب التعليم — وهو بعض التربية — لكى نتجنب الجهل . لأن الجهل والمرض من المساوئ التى يجب تحاميها . وصحيح أن للصحة قيمتها فى النجاح . وكذلك قيمة التربية لا تنكر فى تدريب الذهن على الملاحظة وزيادة المعارف . ولكن الصحة والتربية كلتاهما تطلب لذاتها لأنها بعض الحياة الطيبة .

ولكن لما كان لكل مجتمع أسلوب فى الحياة يختلف عن الأسلوب السائد فى المجتمعات الأخرى فإننا بعد أن نعمم الغاية الكبرى من التربية ونقول إنها متعة أو حق أو بعض الحياة الطيبة نعود فنضطر إلى التخصيص ونقول إن التربية يجب أن تواثم بين الفرد وبين الوسط (المجتمع) الذى يعيش فيه . ومن هذه الملاءمة ضرورة احترافه عملا يكسب منه حتى لا يتحمل هذا المجتمع عبء عيشه . هذا إذا كان رجلا . فاذا كان امرأة فاننا يجب أيضا أن ننظر إلى مقامها فى هذا المجتمع ونهيئها له بأن تكون زوجة وأما . ولكن يجب أن نحذر القول بأن غاية التربية للرجل أن يحترف عملا أو غايتها للمرأة أن تصير زوجة وأما . لأن التربية — كما قلنا — مثل الصحة يجب أن تطلب لذاتها قبل كل شىء .

فكيف إذن نربى المرأة ؟

ما دمنا قد قلنا إن مقامها فى المجتمع هو البيت لكى تكون زوجة وأما فاننا يجب أن ننظر إلى هذا المقام وأثره. فقد ثبت أن الأطفال يحصلون على النزعات الأخلاقية والتوجيهات الاجتماعية والعقائد الدينية والشعائر القومية من البيت قبل أن يكملوا من أعمارهم ست سنوات وهم فى هذه المدة لا يعرفون أحدا مقدار معرفتهم لأمهم . وهم يتعلمون منها أسلوب الحياة الذى سيتخذون فى المستقبل . ومن المألوف بين العامة قولهم وقت التشاتم " أنت تربية

امرأة" ولكن الحقيقة التى لا يمكن أن تناقض أننا كلنا هذا الرجل . لأن الأب لا يربى ابنه فى السنوات الأولى من عمره، والأم هى المسئولة عن ذلك . فاذا كان بالأبناء ميزات أو عيوب فى الأخلاق فإلى الأم يرجع الفضل أو النقص . ونحن نعرف الطفل المدلل ولكنا نجهل أن الرجل قد يكون أحيانا مدللا يكره الصعوبات و يتحامى الإقدام ويخشى المستقبل ، وأن حاله هذه إنما ترجع إلى طفولة سيئة قضاها مع أم جاهلة قد دللته وطبعت فى نفسه هذا الأسلوب . لأن البيت هو المجتمع الصغير الذى يبنى عليه الطفل آراءه وعقائده عن المجتمع الكبير . فما تعلمه فى هذا المجتمع الأول قد انغرس فى نفسه عادة ثابتة لن تتبدل فى المستقبل إلا بعد مجهود عظيم قل من ينجح فى بذله . ولذلك يجب أن يكون نصب أعيننا على الدوام أن البيت ليس هو "المدرسة الأولى" بل هو المجتمع الأول وهو أكبر من المدرسة، وعلى قرار هذا البيت سيكون المجتمع الأكبر أى مجتمع الأمة . فاذا وجدت به عقما وكراهة للتطور والتقدم فارجع النظر إلى مجتمع البيت وابحث فيه عن الأسباب والعلل

ومن هنا قيمة التربية والتعليم للمرأة . فإنها رئيسة هذا البيت الفعلية ، وهى التى تخرج لنا منه العبقريين أو المجرمين. فالمرأة التى تعيش فى بيت نظيف مرتب الأثاث خال من الضوضاء يسوده الجد فى غير صرامة ، والفكاهة فى غير تبذل ، والتى تأكل أمام أولادها كما يأكل المتمدنون وتعامل الخدم بالرفق والعطف يتعلم ابنها منها هذا الأسلوب فى المعيشة ، و ينشأ عليه و يعامل به مجتمع الأمة، ولا يجد فى التزامه صعوبة لأنه لم يعرف غيره . وهو ينجح فى هذا المجتمع لأنه يحبه و يتعاون معه كما كان يحب أمه و يتعاون معها .

فأول ما يجب فى تربية المرأة أن نعلمها كيف تكون أما تربى الجيل الجديد الذى تبنى الأمة منه . وهذه التربية شاقة لأنها ليست تعليما مؤلفا من مواد يمكن درسها وعقد الاختبارات عنها . لأن الوسيلة لتربية هذا الجيل هى القدوة . فاذا شئنا أن نعلم الصبى كيف يكون مستقلا مبتكرا فوسيلة ذلك أن يرى هذه الصورة فى أمه . ولكن أمه يجب أن تكون قد تعلمت هذه الأخلاق فى البيت . ومن هنا يرى القارئ صعوبة التربية النسوية فى مصر . لأننا فى الوقت الذى نعرف فيه أن البيت هو الأساس لتربية الأخلاق نضطر إلى الرجوع إلى المدرسة لكى نحصل على هذه التربية . وكل ما نستطيعه عندئذ أن ننصح بأن تكون هذه المدرسة بيتا أو كالبيت تعلم فيه الأخلاق بالممارسة . وهذا بالطبع إلى جنب التعليم الخاص بكل ما يتصل بالأمومة .

ولكن المرأة ليست أما فقط إذ هى زوجة . وهى فى مصر تعانى هموما وتكبد زوجها هموما أخرى . وهى ظالمة ومظلومة معا . إذ هى لا تعرف لماذا ينفر منها زوجها أحيانا ، و ينشد الراحة أو السلوى النفسية مع غيرها من أصدقاء على القهوة أو النادى . وهى لذلك

تغضب منه وقد تثور لهذا الهجران . وهى هنا ظالمة . ولكنها مظلومة أيضا من حيث إنها لم تحصل على قسط من الثقافة والتدريب الاجتماعى كذلك القسط الذى حصل عليه زوجها فهى ليست زميلته ، وهو لا يأنس إلى حديثها ، وأحيانا تنفجر الهوة حتى تقتصر العلاقة بينهما على الضرورات الفسيولوجية وعندئذ يعود البيت كأنه فندق أو مطعم .

فيجب — بعد الأمومة — أن تعلم المرأة لكى تكون زوجة ، وأعظم ما يهيئها لذلك أن تستوى فى درجة الثقافة مع زوجها أو تقاربه . ولذلك يجب ألا يختلف تعليم الفتاة من تعليم الشاب . وإذا كان هناك اختلاف فإنه يجب أن ينحصر فى توجيه الشاب إلى احسان عمل يحترفه فى المستقبل لكى يكسب منه ، وفى توجيه الفتاة لكى تكون أما ، عليها تدريب أبنائها — بالقدوة — على الحياة الطيبة .

ويقول الأمريكيون هنا باستقراءاتهم عن السعادة الزوجية بين ألوف العائلات إن المرأة التى احترفت عملا قبل الزواج أليق للزواج من التى لم تحترف . وقد يكون هذا معقولا فى المجتمع الأمريكى ولكنه بالطبع بعيد عن أحوالنا الاجتماعية الحاضرة .

لقد قلنا فى أول هذا المقال إن التربية يجب أن تطلب لذاتها كما تطلب الصحة . لأننا نتقى بالتربية الجهل كما نتقى بالصحة المرض . ولذلك يجب أن نؤكد هنا القول بأن تربية المرأة يجب ألا تكون غايتها الأولى الأمومة والزوجية بل يجب أن نربى المرأة ، لأنها إنسان قبل كل شىء ، أى إنسان له شخصيته ويجب أن يكون ذهنه مستنيرا متطلعا راقيا ينمو ويطرد رقيه ونموه .

من وصايا الإمام علىّ لأحد عماله

لا يكونن المحسن والمسىء عندك بمنزلة سواء ، فإن فى ذلك تزهيدا لأهل الاحسان فى الإحسان ، وتدريبا لأهل الاساءة على الاساءة . وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه . وأعلم أنه ليس شىء أدعى إلى حسن ظن الراعى برعيته من إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عليهم . فليكن منك فى ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك ، فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا ، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده . وان أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ، ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية .